حادثة التخيير

في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية

(دراسة حديثية)

د. عبد السميع الأنيس*

التعريف بالبحث:

يقدم هذا البحث جانباً من حياة النبي ﷺ الزوجية من خلال حادثة التخيير، وهي حادثة كشفت عن تعامل النبي ﷺ الحكيم مع المشكلات الاقتصادية التي تنشأ داخل الأسرة بسبب المطالبة بزيادة النفقات ... وقد استعمل النبي ﷺ في حل هذه المشكلة (أسلوب التخيير) وهي صورة مشرقة من صور مبدأ الشورى، وكيف يمكن الاستفادة منه في نظام الأسرة. كما كشف البحث عن مزيد من الدروس الهادفة في فقه الأسرة المسلمة تم استخلاصها من هذه الحادثة، وصلت إلى خمسة عشر درساً...

وقد انتهى البحث إلى النتائج الآتية:

١- الراجح في طلب التخيير هو طلب زيادة النفقة من قبل أزواج النبي ﷺ الطاهرات.

٢- وقعت هذه الحادثة في سنة تسع للهجرة.

٣- أثبت البحث أن النبي ﷺ استعمل في حل هذه المشكلة أسلوب السكوت مع الإطراق والحزن، لكنه لم يستعمل أسلوب الضرب في حالة من الحالات.

٤- قدم البحث نموذجاً من كتابة السيرة النبوية بلغة معاصرة.

* مدرس الحديث النبوي وعلومه في كلية الشريعة والقانون، مسقط في سلطنة عمان، ولد سنة (١٩٦٣م)، ونال درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، سنة (١٩٩٥) بتقدير ممتاز، وكانت رسالته تحقيق ودراسة «الفصل للوصل المدرج في النقل» للخطيب البغدادي، وله عدة بحوث منشورة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعـد :

فإن بحث « حادثة التخيير في إطار المعالجة النبوية لمشكلات الحياة الزوجية » يقدم نموذجاً من كتابة السيرة النبوية بلغة معاصرة، معتمدة على نصوص القرآن، وأحاديث النبي ﷺ، بالإضافة إلى كتب التفسير وشروح الحديث وكتب السيرة والتاريخ، وكل ما له صلة بحياة النبي ﷺ.

وهي محاولة -أحسبها جادة- في إيجاد حلولٍ لما يعترض الأمة من مشكلات، ولا سيما فيما يتعلق بمشكلات الأسرة.

ذلك لأن الأمة مدعوة لقراءة حياة النبي ﷺ قراءة متأنية، وأن تستنبط المزيد من الدروس والعبر والعظات من حياة النموذج الأوحد للبشرية عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وسنرى أروع الأمثلة في أساليبه ﷺ في حل المشكلات الزوجية، ولاسيما تلك التي تتعلق بالجانب الاقتصادي منها.

واستقرار الأسرة يستحق منا كل اهتمام، ذلك لأنها تمثل آخر حلقة من الحلقات التي يستهدفها التآمر الغربي في صراعه مع الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

واستقرار الأسرة أمر مهم حتى تتمكن من القيام بمسؤولياتها في تربية الأجيال وتنشئتهم تنشئة صالحة، وعدمُ استقرارها يعطل هذا الدور المنوط بها.

واليوم تعاني الأسرة من مشكلات كثيرة لعل من أهمها :

هذه المبالغة في أنماط الاستهلاك، والإسراف في النفقات، مما يدفع بالأسرة أن تسلك

سلوكاً غير رشيد ولا حميد إذ جرها إلى أنواع من التعامل الآثم في سبيل الحصول على مورد تسد به نفقاتها المتزايدة يوماً بعد يوم، وقد ظهر في المجتمع نتيجة ذلك: التعاملُ بالربا، وأخذ الرشوة، والغش في المبيعات، وعدم إتقان الأعمال، إلى غير ذلك من المنهيات التي حذرنا منها الإسلام، ومن هنا فإن الحق تبارك وتعالى حذرنا من مغبة ذلك عندما قال: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ ولا شك أن الأسرة المسرفة هي أسرة لا يحبها الله، وليس لها شأن يذكر في الملأ الأعلى.

درس آخر أراد النبي ﷺ منا أن نتعلمه من حادثة التخيير وهو أن نبتعد عن المبالغة في الإنفاق العام حتى لا تكبر الديون، ولا شك أن الفرد أو الأسرة أو الأمة عندما تبالغ في الاستهلاك سيضطرها ذلك إلى الاستدانة لتغطية هذه النفقات.

ومشكلة الديون مشكلة قائمة في عالمنا الإسلامي، ولها آثارها الخطيرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

وقد استعاذ النبي ﷺ في جملة ما استعاذ من غلبة الدين وقرنه بقهر الرجال، عندما قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ...» ثم قال: «ومن غلبة الدين وقهر الرجال»، فكأن النبي ﷺ أراد أن يقول لنا: إن غلبة الدين صنو لقهر الرجال وقرين له... وفي هذا الأسلوب الرائع تحذير من الدين أيما تحذير.

كما أن النبي ﷺ أراد أن يعلم الأمة من خلال حادثة التخيير كيف تحافظ على المال إذا فُتحت عليها الدنيا.

أراد أن يعلم المسؤول من الأمة ـ رب الأسرة الكبيرة ـ ورب الأسرة الصغيرة ـ كيف يقف الموقف الحازم أمام هذه الأنماط من الاستهلاك المبالغ فيه، ولو كان هذا الاستهلاك في المباحات فضلاً عن المحرمات، وما ذلك إلا لضمان مستقبلها، والحفاظ على قوتها

وحفظها من الخروج عن منهج الله.

وقد سجل لنا القرآن حقائق مهمة عن أقوام أصيبوا بالترف، وأسرفوا في الإنفاق، فكان عاقبتهم الدمار.

قال تعالى: ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً** ﴾.

والإسراف من الجرائم التي اقترفها فرعون فاستحق العقوبة التي نزلت به، وما نجا منها قومه.

قال تعالى: ﴿ **وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين** ﴾ فحري بنا أن نتابع النبي ﷺ في سلوكه مع أسرته، وأن ننأى جانباً عن كل سلوك يجعلنا في زمرة فرعون وزمرة المترفين.

أما عن منهجي في البحث فقد اتبعت فيه المنهجية القائمة على الاستقراء والتحليل والنقد والاستنتاج، وقمت بعرض الآراء المختلفة في حادثة التخيير من حيث سببها، وزمن وقوعها، وناقشت الأدلة المتوفرة عنها، ورجحت ما رأيته راجحاً حسب القواعد العلمية التي اعتمدها الأئمة المجتهدون، مع الرجوع إلى المراجع الأصلية وتوثيق النصوص، ولا سيما النبوية منها حسب الطريقة العلمية في ذلك.

ولا بد من الإشارة إلى أنني لم أطلع على بحث مستقل عن الموضوع الذي أكتب فيه وإنما هناك دراسات جزئية متفرقة في ثنايا كتب التفسير وشروح الحديث، وقد قمت بمراجعتها والاعتماد على ماصح منها.

وأما خطة البحث فقد جاء في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث:

التمهيد: وذكرت فيه تفسير آية الأحزاب، وأقوال أهل العلم في سبب حادثة التخيير مجملة، وكيفية التخيير.

المبحث الأول: أدلة ما ذكر في سبب الحادثة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أدلة أصحاب القول الأول.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب القول الثاني.

المطلب الثالث: مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني

المطلب الرابع: الترجيح.

المطلب الخامس: مناقشة قضية الاعتزال في حادثة التخيير.

المبحث الثاني: زمن وقوعها.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من حادثة التخيير.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تمهيد :

الآيات الواردة في حادثة التخيير:

قال تعالى : ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ سورة الأحزاب (٢٨-٢٩)

أولا : التفسير الإجمالي[١] :

﴿ **إن كنتن تردن الحياة الدنيا** ﴾ : سعتها ونضارتها ورفاهيتها والتنعم فيها .

﴿ **وزينتها** ﴾ : أي زخارفها .

﴿ **أمتعكن** ﴾ : أي أعطكن المتعة، وأطلقكن . والمتعة ما يعطى للمرأة المطلقة على حسب السعة والاقتدار من ثياب أو دراهم أو أثاث، تطوعاً لا وجوباً .

﴿ **سراحاً جميلاً** ﴾ : أي طلاقاً من غير ضرار ولا بدعة .

قال المفسرون : إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا، وطلبن منه الزيادة في النفقة، فنزلت الآية، ولما نزلت بدأ ﷺ بعائشة - رضي الله عنها - وكانت أحبهن إليه فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم اختار جميعهن اختيارها، وكن يومئذ تسعاً : عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة، وهؤلاء من نساء قريش، وصفية، وميمونة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث . وقيل في سبب التخيير غير ما ذكر هنا، مما سيأتي مناقشته في هذا البحث .

---

(١) تفسير الطبري ١٠ / ٢٩٠، فتح القدير للشوكاني ٤ / ٢٧٥، محاسن التأويل للقاسمي ١٣ / ٢٤٦، وقد ذكرت هنا تفسير الآيتين بصورة مجملة، وأما التفصيل فقد تكفل البحث به ولاسيما الدروس المستفادة من حادثة التخيير .

ثانياً: سبب التخيير:

ذكر العلماء في حادثة التخيير أربعة أقوال، وهي:

١- **طلب زيادة النفقة**: وقد ذكره جميع المفسرين [١].

٢- **الغيرة**: وذلك أنهن تغايرن عليه فحلف أن لا يكلمهن شهراً، ثم أُمِرَ بأن يُخيرهنَّ.

وقد ذكره عدد من المفسرين [٢] وضعفه الطبري إذ أورده بصيغة التمريض فقال: وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة قد غارتها.

٣- **أنه ﷺ لما خُيِّرَ بين مُلكِ الدنيا ونعيمِ الآخرةِ فاختار الآخرةَ أُمِرَ بتخيير نسائِهِ ليكُنَّ على مثلِ حالِهِ** [٣].

---

(١) انظر على سبيل المثال تفسير الطبري ١٠/٢٨٩-٢٩٠؛ محاسن التأويل للقاسمي ١٣/٢٤٦، معالم التنزيل للبغوي ٣/٥٢٥؛ زاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٧٧ وقال عن القولين الأولين: والقولان مشهوران في التفسير؛ تفسير القرطبي ١٤/١٦٢؛ أحكام القرآن لابن العربي ٣/٥٥١؛ تفسير ابن كثير ٣/٤٦٢؛ ولم يذكر سوى القول الأول، وذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير٣/١٢٢.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/٢٩٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ٦/٣٧٧؛ تفسير القرطبي ١٤/١٦٢، أحكام القرآن لابن العربي ٣/٥٥١؛ وقال عنه: وهو الصحيح الذي يعول عليه ولا يلتفت إلى سواه، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/١٢٢: وحكاه الغزالي، وفتح القدير للشوكاني ٤/٢٧٦.

(٣) الحديث الوارد في ذلك هو ما رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (٧١٦٠) عن أبي هريرة قال: «جلس النبي ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل يوم خلق قبل الساعة. فلما نزل قال يا محمد: أرسلني إليك ربك، أفملكاً نبياً يجعلك، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: بل عبداً رسولاً». قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وفي الباب عن ابن عباس رواه النسائي في السنن الكبرى (٦٧٤٣) وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وعن عمر عند الطبراني في الكبير (١٣٣٠٩) قال الهيثمي: وفيه يحيى بن عبد الله البابلي، وهو ضعيف.

وقد حكاه ابن الجوزي عن أبي القاسم الصيمري، وذكره أيضا ابن العربي والقرطبي وغيرهم (١)

٤- أنَّ سبب نزولِها قِصة مارية في بيت حفصة، أو قِصة العسل الذي شربه في بيت زينب بنت جحش.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا يقرب من الثاني (٢).

وقد جعله ابن العربي القول الثاني نفسَهُ، وستأتي مناقشة ذلك.

ثالثا: كيفية التخيير:

وقد اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين:

القول الأول: أنه خيرهن بإذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء.

وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة.

القول الثاني: أنه إنما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن، وبين الآخرة فيمسكهن، ولم يخيرهن في الطلاق. وبهذا قال علي والحسن وقتادة، وقال الشوكاني - رحمه الله -: والراجح الأول (٣).

---

(١) انظر المصادر السابقة، وأبو القاسم الصيمري هو: عبد الواحد بن حسين شيخ الشافعية وعالمهم، وارتحل إليه الفقهاء إلى البصرة، وعليه تفقه الماوردي. توفي سنة (٤٠٥)، انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤.

(٢) التلخيص الحبير ٣/ ١٢٢.

(٣) فتح القدير ٤/ ٢٧٤.

المبحث الأول: أدلة ما ذكر في سبب الحادثة وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أدلة أصحاب القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول على قولهم بأن سبب حادثة التخيير هو طلب زيادة النفقة بعدة أدلة:

أولاً: ما جاء عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك» قالت: وقد عَلِمَ أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه».

قالت: ثم قال: «إن الله عز وجل قال: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدَّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ سورة الأحزاب (٢٨-٢٩).

فقالت: فقلت: في أي شيء أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلتُ.. زاد مسلم قال معمر: فأخبرني أيوب أن عائشة قالت: لا تُخبر نساءك أني اخترتُكَ فقال لها النبي ﷺ: إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً»[1].

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يخير نساءه، ذاكراً سبب ذلك من خلال التخيير بين الحياة الدنيا وزينتها وبين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، مما يوحي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٨٦) في التفسير باب «وإن كنتن تردن الله ورسوله...» ومسلم برقم (١٤٧٥) (٢٧) في الطلاق: باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، من طريق الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن به، وأخرجه أحمد في مسنده (٦/١٦٣ و ١٨٥ و ٢٦٤). والنسائي في سننه برقم (٣٤٤٠) من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة، وفي بعض الروايات: لما نزلت «وإن كنتن تردن...» دخل علي رسول الله ﷺ...».

بأن سبب ذلك هو طلبهن الحياة الدنيا وزينتها وذلك عند طلبهن زيادة النفقة، ثم جاء حديث جابر ليوضح ذلك بصورة صريحة. كما أن هذا النص بيَّن لنا كيف طبق النبي ﷺ أمر التخيير الذي أُمر به من الله تبارك وتعالى، مع ملاحظة أن الإمام البخاري رحمه الله لم يخرج عند تفسير هاتين الآيتين في صحيحه سوى هذا الحديث.

ثانياً: حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- وهذا نصه:

قال: أقبلَ أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت (١).

فقال عمر: لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك.

فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد (٢) -امرأة عمر- سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها (٣).

فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه (٤)، وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» (٥).

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان

---

(١) في رواية مسلم: واجماً ساكتاً، ومعنى وجم: سكت على غيظ، أو عبس وأطرق وسكت عن الكلام من شدة الحزن. المعجم الوسيط، مادة وجم.

(٢) في رواية مسلم: بنت خارجة، واسمها جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح، وهي من المبايعات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ، وهكذا جاء اسمها في طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٢، ٣٤٥، والإصابة لابن حجر ٧/ ٧٥٥.

(٣) قوله: «فوجأت عنقها» أي ضربته.

(٤) الناجذ: آخر الأضراس، وهو الذي يقال له ضرس العقل. وفي رواية ابن لهيعة: «حتى بدت نواجذه» وللإنسان أربعة نواجذ، وهذا اللفظ كناية عن شدة الضحك وبلوغه فيه الغاية.

(٥) في رواية ابن لهيعة عند أحمد بن حنبل: «سألنه النفقة فلم يوافق عنده شيء حتى أحجزنه» ووقع في رواية السندي «حتى أحجرنه» وقال: هكذا في كثير من النسخ، ولعله لغة في حجزنه، أي منعنه=

رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فنهاهما رسول الله ﷺ (١). فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده (٢)، قال: وأنزل الله عز وجل الخيار (٣).

فبدأ بعائشة فقال: «إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ما هو؟ قال: فتلا عليها ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾ الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر (٤) أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال: لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني مُتعَنِّتاً أو مفتناً (٥)، لكن بعثني معلماً ميسراً (٦).

وجه الدلالة:

أن قوله ﷺ: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» يدل دلالة واضحة على أن سبب نزول الآيتين من سورة الأحزاب هو طلب النفقة.

=من الخروج، وقيل: لعل أحرجنه من الحرج.

(١) هذا النهي الوارد في هذه الجملة غير مذكور في رواية مسلم.

(٢) انفرد مسلم بزيادة هنا وهي: «ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين»، ولا وجود لهذه الزيادة في مسند أحمد ولا في سنن النسائي مع أن السند واحد.

(٣) في رواية مسلم: ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾ حتى بلغ ﴿ **للمحسنات منكن أجراً عظيماً** ﴾ (الأحزاب: ٢٨، ٢٩)

(٤) في رواية مسلم: «أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة».

(٥) وفي رواية عند أحمد «معنفاً» وعند مسلم: «لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً».

(٦) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٤٥١٥) و(١٤٥١٦) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٧٨)(٢٩) في الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ومن طريقه أخرجه البيهقي في سننه ٧/٣٨، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٢٠٨)، من طريق ابن لهيعة كلاهما (زكريا بن اسحاق وعبد الله بن لهيعة) عن أبي الزبير المكي. وأخرجه ابن سعد في طبقاته ٨/١٨٠، من طريق أبي سلمة الحضرمي، كلاهما (أبو الزبير وأبو سلمة) عن جابر بن عبد الله، وليس في حديث أبي سلمة ذكر لاعتزاله صلى الله عليه وسلم شهرا. وانظر تفسير ابن كثير ٣/٥٢٣، والدر المنثور للسيوطي ٦/٥٩٤.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب القول الثاني:

قال الطبري: وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها. ثم أورد النصوص الواردة عن عائشة وفيها: لما نزلت آية التخيير بدأ النبي ﷺ بعائشة فقال: «يا عائشة إني عارض عليك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمري أبويك...»[١].

أما ابن العربي فقد توسع في ذكر هذا السبب عندما قال: إن أزواجه اجتمعن في الغيرة عليه فحلف ألا يدخل عليهن شهراً[٢] ... ثم نقل لنا حديث ابن عباس الطويل عن عمر وهذا نصه: «حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**﴾ فحججت معه فعدل وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثم جاء فسكبت عليه من الإداوة فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**﴾ فقال: واعجبي لك يا ابن عباس، عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله.

وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي

---

(١) جامع البيان ١٠/ ٢٩٠.

(٢) أحكام القرآن ٣/ ٥٥١.

فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم إلى الليل. فأفزعني فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت عليَّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت، أفتأمن أن يغضب الله لغضب الرسول ﷺ فتهلكين؟ لا تستكثري على رسول الله ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ - يريد عائشة -.

وكنا تحدثنا أن غسان تُنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أنائم هو؟ ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم، قلت: ما هو أجاءت غسان؟

قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه. قال: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون.

فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، قلت: أو لم أكن حذرتك؟ أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي هو فيها، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلم النبي ﷺ ثم خرج فقال: ذكرتك له فصمت.

فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام، فقلت: استأذن لعمر - فذكر مثله -، فلما وليت منصرفاً فإذا الغلام يدعوني

قال: أذن لك رسول الله ﷺ، فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثَّر الرمالُ بجنبه، متكئ على وسادة من أَدَم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت -وأنا قائم-: طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي فقال: «لا». ثم قلت -وأنا قائم أستأنس-: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم ... فذكره. فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ - يريد عائشة - فتبسم أخرى.

فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاث، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». فقلت: يا رسول الله استغفر لي.

فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة. وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله.

فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنا أصبحنا بتسع وعشرين ليلة أعدها عداً. فقال النبي ﷺ: «الشهر تسع وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين.

قالت عائشة: فأنزل آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: «إني ذاكر لك أمراً ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك». قالت: قد أعلمُ أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك. ثم قال: إن الله قال: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك ...**

إلى قوله... ﴿عظيماً﴾ قلت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة [١].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغضب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها برقم (٢٤٦٨) وفي كتاب التفسير في تفسير سورة التحريم برقم (٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥) وفي كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زواجها برقم (٥١٩١)، من طرق عن ابن عباس مطولاً ومختصراً، وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن (١٤٧٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤).

المطلب الثالث: مناقشة أدلة القول الثاني

الناظر في أدلة أصحاب القول الثاني يجد ما يأتي:

أ- الدليل الذي ساقه الإمام الطبري هو حديث عائشة في التخيير وليس فيه دليل على حادثة الغيرة، بل هو مما يدعم أصحاب القول الأول، ثم إن الإمام الطبري رحمه الله صدر هذا القول بقوله: وقيل، بصيغة التمريض، مما يدل على عدم ترجيحه له.

ب-أما الدليل الذي ساقه ابن العربي فهو حديث ابن عباس عن عمر، ومَنْ تحقق فيه جيداً يجد أنه قد ذكر حادثتين اثنتين:

الأولى: حادثة التحريم وهي التي نزل بسببها سورة التحريم.

الثانية: حادثة التخيير وقد نزل بسببها آيات التخيير في سورة الأحزاب، وهي من رواية السيدة عائشة، وليست من حديث ابن عباس عن عمر، وتبدأ روايتها من قولها: فأنزلت آية التخيير، وفي رواية مسلم: ثم أنزلت آية التخيير، وقد بين حديث جابر أن التخيير كان بعد طلب النفقة وليس بعد حادثة التحريم، ويبدو لي أنه وقع إدراج من بعض الرواة فأدخل حديث عائشة الوارد في حادثة التخيير في آخر حديث ابن عباس عن عمر الوارد في حادثة التحريم.

ومَنْ دقق النظر في حادثة التخيير التي يرويها جابر بن عبد الله المتقدم بالإضافة إلى رواية عائشة ثم قارن ذلك مع حادثة التحريم التي يرويها ابن عباس عن عمر، يجد اختلافاً كبيراً بين الحادثتين من حيث الأسباب والزمان والمكان والأسلوب، وطريقة التعامل في حل كل من المشكلتين.

وبيان ذلك ما يأتي:

١- سبب حادثة التخيير: هو طلب النفقة كما هو واضح من خلال الآيات القرآنية في

سورة الأحزاب، والأحاديث التي زادتها وضوحاً.

وفي حديث جابر، قوله ﷺ «هن حولي يسألنني النفقة».

بينما سبب التحريم: هو تحريمه ﷺ مارية كما رجح ذلك ابن حجر[1] أو شرب العسل على خلاف بين العلماء في ذلك.

٢ـ حادثة التخيير وقعت بعد حادثة التحريم، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة وكان تحته ﷺ يومئذٍ تسع نسوة، وقدشملهن التخيير كما يذكر ذلك أئمة التفسير من التابعين.

أما حادثة التحريم: فقد وقعت قبل ذلك التاريخ وذلك بعد زواجه ﷺ من مارية في السنة السابعة للهجرة على خلاف بين العلماء في ذلك، والذي رجحته: أنها وقعت في أواخر سنة ثمان للهجرة.

٣ـ أما من حيث المكان فإن النبي ﷺ في حادثة التخيير كان جالساً في بيته وحوله نساؤه، وهو ساكت واجم، ولم يخرج إلى المشربة، بينما في حادثة التحريم نرى النبي ﷺ يعتزل في مشربة، خارج بيوت أزواجه، وحفصة في حجرتها تبكي.

٤ـ الأسلوب الذي اتبعه عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ في حادثة التخيير يختلف عن أسلوبه الذي اتبعه في حادثة التحريم، ففي حادثة التخيير يقول: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك ثم قال: يا رسول الله لو رأيت بنت زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها.

بينما في حادثة التحريم يقول: يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم... فذكره، فتبسم النبي ﷺ ثم قال: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى رسول الله ﷺ ـ يريد عائشة ـ فتبسم أخرى...

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٠١.

٥- أما طريقته ﷺ في حل كل من المشكلتين فيختلف تمام الاختلاف، فقد استعمل رسول الله ﷺ في حادثة التخيير أسلوب السكوت ثم أسلوب التخيير حلاً لمشكلة طلب زيادة النفقة، بينما استعمل رسول الله ﷺ في حادثة التحريم أسلوب الاعتزال شهراً، يدل على ذلك ما جاء في حديث ابن عباس عن عمر: فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله.

الخلاصة:

إن حادثة التخيير التي نزلت آياتها في سورة الأحزاب، وجاء حديثها صريحاً واضحاً عن عائشة، قد أدخل في آخر حديث ابن عباس.

ويبدو لي أن سبب ذلك، هو:

الاشتباه الواقع بين كل من آية التخيير في سورة التحريم ونصها ﴿ **عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن..** ﴾. وآيتي التخيير في سورة الأحزاب، وهي: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك..** ﴾ يدل على ذلك حديث ابن عباس عن عمر من رواية سماك بن الوليد الحنفي المخرج في صحيح مسلم[1] وفيه تصريح بنزول آية التخيير التي في سورة التحريم في حادثة التحريم، فظن بعض الرواة أنها آية التخيير التي في سورة الأحزاب فصرح بذلك، ثم ألحق حديث عائشة في ذلك بحديث ابن عباس عن عمر.

أو أن يقال: إن الإمام الزهري رحمه الله جمع في حديثه هذا بين حادثتي التحريم والتخيير لتشابه موضوعيهما.

---

(١) برقم (١٤٧٩) (٣٠) كتاب الطلاق.

المطلب الرابع: الترجيح

بعد استعراض الأدلة يترجح عندي في سبب حادثة التخيير طلبُ زيادة النفقة، لقوة الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا القول، وللأسباب الآتية:

١- ظاهر قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها..**﴾ يدل على أنها نزلت لتعالج موضوعاً يتعلق بالمطالبة بأمر من أمور الحياة الدنيا وزينتها.

٢- أدلته من الحديث النبوي الصحيح واضحة، ومن أصرحها حديث جابر بن عبد الله وهو نص صريح بأن حادثة التخيير وقعت بعد طلبهن زيادة النفقة، وقد ذكره جمهور المفسرين عند تفسير الآية.

٣- الأدلة التي استدل بها أصحاب القول الثاني لا تنهض دليلاً نظراً للاعتراضات التي أثيرت حولها وقد تقدم بيانها عند المناقشة، لأنها تتعلق بحادثة التحريم، وهي حادثة أخرى لها أدلتها وظروفها وأسبابها الخاصة بها.

٤- وأما أصحاب القول الثالث فقد استدلوا على قولهم بحديث: تخييره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة. والواقع أنه لا يوجد دليل من النقل يدل على أن الآية نزلت بسبب هذا الحديث، بل الأحاديث الصحيحة تدل على خلاف ذلك.

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا يعكر عليه أن الأكثر من أهل العلم بالمغازي: أن إيلاءه من نسائه كان سنة تسع، وأن تخييرهن وقع بعد ذلك، وقد كان ﷺ في آخر عمره قد وسع له من العيش بالنسبة لما كان فيه قبل ذلك، قالت عائشة: ما شبعنا من التمر حتى فتحت خيبر»(١).

٥- وأما أصحاب القول الرابع فيكفي في رد قولهم: أن حادثة التحريم هي حادثة

---

(١) التلخيص الحبير ٣/١٢٢.

أخرى تختلف تمام الاختلاف عن هذه الحادثة من عدة وجوه، وقد تقدم بيان ذلك في مناقشة أدلة أصحاب القول الثاني [١] ورحم الله الحافظ عندما قال عن هذا القول: وهذا يقرب من الثاني.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) انظر بحثي المعنون «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية لمشاكل الحياة الزوجية» المنشور في مجلة الأحمدية، العدد (١٠) محرم ١٤٢٣هـ / مارس ٢٠٠٢م.

المطلب الخامس: مناقشة قضية الاعتزال في حادثة التخيير

هل اعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً في حادثة التخيير؟

قد ورد في حديث جابر بن عبد الله الذي أخرجه مسلم [١] قوله: «ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين»، مما يفيد أن النبي ﷺ اعتزلهن شهراً بعد مطالبتهن بزيادة النفقة. وقد ذهب إلى ذلك عدد من المفسرين، منهم الإمام الطبري والبغوي وابن الجوزي وغيرهم [٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئاً من الدنيا، إما زيادة في النفقة أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً فيما ذكر ثم أمره الله عز وجل أن يخيرهن» [٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٤٧٨) (٢٩)، وقد تقدم تخريجه في المطلب الأول لكن يشار هنا إلى أن الإمام مسلم انفرد بتخريج ذكر الاعتزال، ولا وجود لهذه الزيادة في مسند أحمد بن حنبل، وهو متقدم عليه، كما أنه لا وجود لها في سنن النسائي وهو متأخر عليه علماً بأن السند واحد، والجميع يروي الحديث من طريق أبي الزبير المكي عن جابر... وأخرجه أيضا ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨ / ١٨٠ من طريق أبي سلمة عن جابر أيضا، وليس فيه ذكر لاعتزاله ﷺ شهراً.

(٢) تفسير الطبري ١٠ / ٢٨٨، وتفسير البغوي ٣ / ٥٢٥، و زاد المسير لابن الجوزي ٦ / ٣٧٦.

(٣) ثم أورد رواية عن أبي الزبير أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه...». وهي مثل رواية أبي الزبير عن جابر التي رواها مسلم مع اختلاف في بعض السياق، والذي يهمنا هنا أنه لم ترد في هذه الرواية قصة اعتزاله ﷺ نساءه شهراً، بل جاء فيها: «لم يخرج صلوات..»، مما ينفي أنه اعتزلهن شهراً بعد طلب النفقة.

وردت رواية عن ابن زيد – وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – وفيها: «كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ فهجرهن شهرا، فنزل التخيير من الله له فيهن ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك..**﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾، فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبداً».

لكنها رواية ضعيفة لأنها جاءت عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المتوفى سنة (١٨٢هـ) غير مسندة، أضف إلى ذلك أن عبد الرحمن المذكور ضعيف عند أهل الحديث. انظر التقريب ص ٤٠٠.

ولكن يعارض ذلك أنه:

قد جاء في حديث ابن عباس عن عمر الذي أخرجه البخاري ومسلم ما يفيد أن اعتزاله ﷺ شهراً كان بعد حادثة التحريم، ونصه: «..فاعتزل النبي نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة. وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله..» (١).

فهل الاعتزال كان بعد التحريم أم كان بعد طلب زيادة النفقة في حادثة التخيير؟

عند دراسة الحادثتين يترجح أن اعتزاله ﷺ نساءه شهراً كان بعد حادثة التحريم بدليل حديث ابن عباس عن عمر في الصحيحين، وهو نص في محل النزاع، وعند التعارض يقدم ما رواه البخاري ومسلم على ما رواه مسلم، ويؤيد ذلك: أن حديث جابر بن عبد الله نفسه قد رواه أحمد في مسنده، والنسائي في سننه، ولم يذكرا الاعتزال المذكور علماً بأن السند واحد كما تقدم قريباً.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقي أن يقال:

ما المانع من أن يكون سبب الاعتزال هو وقوع الحادثتين ثم جاء التخيير بعد الاعتزال؟

قلت: هذا جواب وجيه، ويؤيد ذلك أن الحادثتين وقعتا في زمن متقارب، فقد وقعت حادثة التحريم في أواخر سنة ثمان من الهجرة (٢) بينما وقعت حادثة التخيير في بداية سنة تسع من الهجرة كما سيأتي.

---

(١) تقدم تخريجه في المطلب الثاني، وقد بحثت هذه المسألة بتوسع في بحثي الموسوم بـ «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية...».

(٢) انظر أدلة ذلك في بحثي «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية...».

فكأن الاعتزال المذكور جاء تأديباً لكل الزوجات على ماصدر منهن، وقد احتمل ذلك

الحافظ ابن حجر، قال رحمه الله:

« . . .وقد اختلف في الذي حرَّم على نفسه، وعوتب على تحريمه، كما اختلف في سبب حلفه أن لا يدخل على نسائه، على أقوال» وذكر منها التحريم، وطلب زيادة النفقة ثم قال: «والراجح من الأقوال كلها قصة مارية».

ثم أضاف قائلاً: «ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أهمها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة.. وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره، وكثرة صفحه، وأن ذلك لم يقع منه حتى تكرر موجبه منهن ﷺ ورضي عنهن»(١).

قلت: لكن يلزم من هذا الجمع أن التخيير قد وقع أيضاً بسبب الحادثتين حادثة التحريم، وحادثة طلب زيادة النفقة، مثله مثل الاعتزال الذي وقع بسبب الحادثتين.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقد يقال: وما المانع من ذلك؟

قلت: المانع من ذلك أن التخيير في آيتي سورة الأحزاب قد نزل بسبب طلب زيادة

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٠١، ويقول الغزالي في الوسيط ٥/ ٩: «وإنما اختص في أمر النكاح بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والإمساك، ولعل سره فيه أن الجمع بين عدد منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي أعظم الآلام، وهو إيذاء يكاد ينفر القلب، ويوهن الاعتقاد، وكذلك إلزامهن الصبر على الضرر والفقر يؤذيهن، ومهما ألقي زمام الأمر إليهن خرج عن أن يكون بصدد التأذي والإيذاء، فنزه عن ذلك منصبه العلي، وقيل له ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك**... ﴾ ونزل ذلك عليه حين ضاق صدره ﷺ من كثرة خصامهن، واقتراحهن زينة الدنيا حتى آلى عنهن، ومكث في غرفته شهراً، فابتدأ بتخيير عائشة رضي الله عنها وقال: «إني ملق إليك أمراً، فلا تبادريني بالجواب حتى تؤامري أبويك، وتلا الآية، فقالت: أفيك أؤامر أبوي؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة» ثم قالت: لاتخبر زوجاتك باختياري إياك، وأرادت أن يختار سائر زوجاته الفراق، فطاف على نسائه، وكان يخبرهن باختيار عائشة إياه فاخترن الله ورسوله بأجمعهن».

النفقة، يدل على ذلك حديث جابر بن عبد الله وهو نص في محل النزاع، وظاهر الآية يؤيد ذلك. كما أن سبب التحريم هو تحريمه مارية أو شرب العسل على خلاف بين العلماء، فهما حادثتان منفصلتان.

وكان يتم لهم هذا الجمع لو أن الاعتزال جاء بعد التخيير وليس قبله كما هو في حديث ابن عباس عن عمر.

مما يدل على أن حديث عائشة في التخيير قد ألحق بحديث ابن عباس عن عمر الذي ورد في التحريم، وأن أحد الرواة قد جمع بينهما لتشابه موضوعيهما، ولقرب وقوعهما، وقد تقدم بيان ذلك في المطلب الثالث.

إلا أن يقال: بأنه قد وقعت حادثة طلب زيادة النفقة ثم حادثة التحريم، ثم جاء اعتزاله ﷺ شهراً تأديباً لهن، ثم نزل التخيير بسبب طلب زيادة النفقة المتقدم، وفيه تكلف ظاهر.

ورحم الله الحافظ ابن حجر ما أدق عبارته عندما قال: «ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أهمها...» ولم يرجح ذلك، بل رجح في قصة التحريم أنها كانت بسبب مارية، مما يدل على أن الحادثتين منفصلتان.

المبحث الثاني: زمن وقوعها

من المفيد في معرفة المزيد عن تفاصيل حادثة التخيير معرفة زمن وقوعها إذ به تنكشف لنا كثير من الحقائق المتعلقة بها، وعنصر الزمن مهم في الاطلاع على الظروف والملابسات التي رافقت هذه الحادثة، فمتى ياترى وقعت هذه الحادثة؟!

للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال، وهي:

١- أنها وقعت سنة تسع للهجرة، وممن جزم بذلك الحافظ الدمياطي وأتباعه، وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل ذلك: وهو المعتمد(١).

٢- أنها وقعت بعد غزوة خيبر، وممن ذهب إلى ذلك المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت ١١٠٩ هـ)(٢).

٣- وقعت بعد غزوة بني قريظة، وهذا يعني أن التخيير وقع في أواخر سنة خمس من الهجرة، ذلك لأن غزوة بني قريظة وقعت بعد غزوة الأحزاب، وقد نص علماء السيرة على أنها وقعت سنة خمس على خلاف بينهم في الشهر، فذهب جمهورهم إلى

---

(١) فتح الباري ٩ / ١٩٧، وقد ذكر أدلته على ذلك. ولمزيد من التفصيل ينظر بحثي «حادثة التحريم في إطار المعالجة النبوية...».

(٢) تفسير الصافي ٤ / ١٨٥، وقد نقل عن القمي سبب النزول وهو: أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر، وأصاب كنز آل أبي الحقيق قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت؟ فقال لهن رسول الله ﷺ: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله. فغضبن من ذلك، وفيه: فاعتزلهن رسول الله ﷺ في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً، ثم أنزل الله هذه الآيات. وتابعه على ذلك محمد حسين الطباطبائي في الميزان في تفسير القرآن ١٦ / ٣١٥. وفاتهما أن النبي ﷺ لم يكن في تلك الفترة - وهي شهر محرم من السنة السابعة، وهي زمن وقوع غزوة خيبر - قد تسرى بمارية حتى يعتزل في مشربتها!!.

أنها وقعت في شوال[١]، وذهب البعض إلى أنها وقعت في ذي القعدة[٢]، وممن قال بهذا القول أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت:٧٤٥ هـ)[٣]، ونقله عنه الألوسي (١٢٧٠هـ)[٤].

ونص أبي حيان: «لما نصر الله نبيه، وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود، وذخائرهن، فقعدن حوله وقلن يا رسول الله: بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء والخول – أي الخدم – ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق، وآلمن قلبه بمطالبتهن بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم.. فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن، وأزواج النبي إذ ذاك تسع»، ثم عددهن.

ويبدو لي أن مستند أبي حيان ومن تابعه في هذا القول هو: ورود آيات حادثة التخيير بعد الآيات التي تحدثت عن غزوتي الأحزاب وقريظة، وفاتهم أن التخيير المذكور كان لجميع أزواج النبي يدل على ذلك:

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣ / ١٦٥، والكامل لابن الأثير ٢ / ٧٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٤ / ٩٣، وقال: «نص على ذلك ابن اسحق، وعروة بن الزبير، وقتادة، والبيهقي، وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً...»

(٢) انظر المغازي للواقدي ٢ / ٤٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣ / ٦٥.

(٣) انظر تفسيريه البحر المحيط ٧ / ٢١٩، والنهر الماد من البحر المحيط ٢ / ٢ / ٧٢٤.

(٤) انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١١ / ١٨٢، مصرحاً بنقله، ومستحسناً له بقوله: «وما أحسن موقع هذه الآيات على هذا بعد انتهاء قصة الأحزاب وبني قريظة كما لا يخفى» وممن ذهب إلى هذا القول عدد من المفسرين المعاصرين، وهم: محمد بن يوسف أطفيش الإباضي (ت:١٣٣٣ هـ) في تيسير التفسير للقرآن الكريم ١٠ / ٣٤٦، والأستاذ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره ٧ / ١٥٠، والعلامة محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٠ / ٣١٤، وسيد قطب في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٢٠، ومحمد علي الصابوني في صفوة التفاسير ٢ / ٣٣، والدكتور وهبة الزحيلي في التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢١ / ٢٧٩ – نقل نص أبي حيان، ولم يصرح بمصدره –، وعبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن ٦ / ٦٩٧.

أولاً: ظاهر قوله تعالى ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك..**﴾ والأصل أن يشمل لفظ «الأزواج» الجميع.

ثانياً: نص عدد من أئمة التابعين من أهل التفسير منهم: الحسن البصري وقتادة وعكرمة على أن التخيير وقع من النبي ﷺ وكان تحته يومئذ تسع نسوة، فخمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة و سودة بنت زمعة وأم سلمة، وكان تحته صفية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث. وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله ﷺ فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وقد نقل المفسرون هذا القول من غير إنكار[١]. والغريب أن القائلين بوقوع حادثة التخيير بعد غزوة بني قريظة قد ذكروا ذلك، وفاتهم أن النبي ﷺ تزوج عدداً من نسائه بعد غزوة بني قريظة، ومن هؤلاء:

١- زينب بنت جحش وقد تزوجها بعد غزوة بني قريظة في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية[٢].

٢- أم حبيبة - رملة بنت أبي سفيان بن حرب - وكان ذلك سنة سبع للهجرة[٣]

٣- صفية بنت حيي وذلك بعد غزوة خيبر، وكانت غزوة خيبر في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة[٤].

٤- ميمونة بنت الحارث الهلالية، وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن تحلل من إحرامه في

---

(١) ينظر على سبيل المثال تفسير الطبري ١٠/٢٨٩، والبغوي ٣/٥٢٥، وزاد المسير ٦/٣٧٧، وتفسير القرطبي ١٣/١٦٤، وابن كثير ٣/٥٢٣، والبحر المحيط ٧/٢١٩، والدر المنثور ٦/٥٩٧، وروح المعاني ١١/١٨٢.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/١١٤.

(٣) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص ٧٠٦.

(٤) وممن قال بذلك ابن إسحق كما في سيرة ابن هشام ٣/٤٥٥، ورجحه ابن حجر في الفتح ١٦/٤١.

عمرة القضاء، وكانت عمرة القضاء في نهاية العام السابع الهجري تقريباً(١).

٥- جويرية بنت الحارث، وقد تزوجها بعد غزوة بني المصطلق(٢).

وعليه كان ينبغي أن يقال: كان تحته يومئذ أربع نسوة!!

وأما القول الثاني: وهو أن التخيير وقع بعد غزوة خيبر فلا أعلم له مستنداً من الأثر، ثم ما قيل عن القول الثالث يمكن أن يقال فيه إذ لم يكن عنده يومئذٍ تسع نسوة لأن صفية قد تزوجها بعد الغزوة مباشرة، وميمونة قد تزوجها في نهاية سنة سبع من الهجرة.

الراجح:

وعليه فالذي أرجحه هو القول الأول، وأن التخيير وقع في سنة تسع من الهجرة(٣) ويؤيده ما يأتي:

١- سياق الآيات يؤيد أنها نزلت في تنظيم بيت النبوة وتشريع الأحكام الخاصة به، ولهذا جاء عن عكرمة أنه قال « خير رسول الله أزواجه فاخترن الله ورسوله فأنزل الله ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج...** ﴾ (٤)

وقال قتادة والحسن: لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج، فقصره الله عليهن، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله(٥).

---

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص١٣٥.

(٢) وهي قد وقعت سنة ست من الهجرة عند ابن إسحق، وسنة خمس عند الواقدي، وكلاهما قال: في شهر شعبان. انظر سيرة ابن هشام ٣/٢٢٧، والمغازي للواقدي ١/٤٠٤.

(٣) وفي الفتح ٧/٤٣٨: «وآية التخيير نزلت سنة تسع اتفاقاً».

(٤) أسباب النزول للسيوطي ص ٤٠١ بحاشية تفسير الجلالين.

(٥) تفسير الطبري ١٠/٢٩٠.

٢ـ من المعلوم أن غزوة حنين التي وقعت بعد فتح مكة في أواخر سنة ثمان من الهجرة قد غنم المسلمون فيها غنائم عظيمة جداً من الأموال والإبل والشياه، وأن رسول الله ﷺ قد وزعها على المهاجرين والطلقاء وبعض زعماء قريش وغطفان وتميم يتألفهم في ذلك ولم يعط الأنصار شيئاً(١).

يحدثنا الصحابي الجليل جبير بن مطعم عن مشهد من مشاهد توزيع الغنائم وقد ازدحم على رسول الله ﷺ الأعراب مما اضطروه إلى غصن شجرة حتى علق رداؤه به، فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أعطوني ردائي فلو كان عدد هذه العضاه – أي شجر الشوك – نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»(٢).

وكان هذا الموقف تجاه المؤلفة قلوبهم قد أغضب الأنصار مما جعل بعض أحداثهم يقول: «يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم»(٣).

مما جعل رسول الله يجمعهم ليقول لهم: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم»(٤) وفي رواية «أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم...»(٥).

ويبدو أن هذا الموقف أغضب الكثير فقد حدثنا عبد الله بن مسعود عن موقف من مواقف الغضب الذي أوذي فيه رسول الله ﷺ فيقول: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس – من زعماء تميم – مئة من الإبل، وأعطى عيينة

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله ص ٥٩٣ فما بعدها.
(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٤٨).
(٣) صحيح البخاري رقم (٣١٤٧).
(٤) صحيح مسلم رقم (١٠٦١).
(٥) مسند الإمام أحمد ٣/٧٦ ط الميمنية، ١٨/٢٥٥ ط الرسالة.

– هو ابن حصن من زعماء غطفان – مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ بالقسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله!! فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(١).

ومن هذه المواقف ما حدثنا به جابر بن عبد الله «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال: يا محمد اعدل. قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: دعني فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي...»(٢).

وجه الدلالة:

فإذا كان توزيع الغنائم قد أغضب كثيراً من الناس بما فيهم الأنصار وهم معروفون بسابقتهم ونصرتهم رسول الله ﷺ ودعوته فلا يستبعد أن يكون له أثر على أزواج رسول الله ﷺ إثر رجوعه إلى المدينة المنورة(٣)، وأن يدفعهم ذلك إلى المطالبة بزيادة النفقة بعد أن رأوا هذه الغنائم العظيمة تُوزّع على الناس، ولا يكون لهن فيها نصيب.

٣– ويؤيد ذلك أن عدداً من المفسرين قد ذكروا أن طلبهن كان هو زيادة النفقة، وليس طلب النفقة(٤)، يدل على ذلك نص الآية: ﴿**إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها..**﴾.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٣١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٦٣)، وابن إسحق كما في سيرة ابن هشام (١٩٥)، واسم الرجل عنده: ذو الخويصرة التميمي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة» أي في نهاية السنة الثامنة للهجرة.

(٤) انظر تفسير الطبري ١٠ / ٢٨٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٦ / ٣٧٦، وتفسير البغوي ٣ / ٥٢٥ وغيرها.

وزينة الحياة هي الأمر الزائد على الضروريات قال تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ (١).

وأما النفقة فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله، وحاشاه أن يقصر في ذلك.

أليس هو القائل: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله، وما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم» (٢).

ويدل على ذلك أيضاً أنه كان لرسول الله ﷺ مصادر متعددة ينفق منها على أهله (٣) منها:

١- الفـــيء:

وهي ما أفاء الله على رسوله من المشركين من غير قتال، وهي: فدك وأموال بني النضير.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله فكانت لرسول الله فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة (٤)، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

---

(١) الآية ١٤ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (١٩٧٨) وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده على شرط الشيخين».

(٣) ينظر في ذلك مع ذكر أدلته كتاب الأموال لأبي عبيد ص ١٤ فما بعدها.

(٤) وواضح من حديث عمر: أنه ﷺ كان ينفق على أهله نفقة سنة... كما في صحيح البخاري برقم (٤٠٣٣)، وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم... كما في صحيح البخاري برقم (٥٣٥٧)، وصحيح مسلم برقم (١٧٥٧)(٥٠). وعنون البخاري رحمه الله باباً لهذه الرواية بقوله: باب حبس الرجل قوت سنة على أهله، وكيف نفقات العيال.

ويستنبط من هذا الحديث جواز الادخار: قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (١١/٢٩٤): «وفي هذا الحديث جواز ادخار قوت سنة، وجواز الادخار للعيال، وأن هذا لا يقدح في التوكل. وأجمع العلماء على جواز الادخار فيما يستغله الإنسان من قريته كما جرى للنبي ﷺ.

وأما إذا أراد أن يشتري من السوق ويدخره لقوت عياله ففيه خلاف:=

٢- الصفي:

الذي كان رسول الله ﷺ يصطفيه من كل غنيمة يغنمها المُسلمون قبل أن يقسم المال.

٣- خمس الخمس:

بعدما تقسَم الغنيمة وتقسَّم.

= ١- ذهب قوم إلى التفصيل:
قالوا: إن كان الادخار في وقت ضيق الطعام لم يجز، بل يشتري ما لا يضيق على المسلمين كقوت أيام أو شهر، وإن كان في وقت سعة اشترى قوت سنة أو أكثر.
٢- وذهب آخرون إلى إباحته مطلقاً».
وأرى أن جواز الادخار خارج عن محل النزاع المذكور آنفاً، ومنعه في وقت ضيق المسلمين إنما هو لظرف طارئ، وليس بسبب عدم مشروعيته.
وممن كان يدخر لأهله قوت سنة: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف كما في المستدرك للحاكم (٣/٣٤٩)
ولكن قد يقال: ألا يعارض ما تقدم من جواز الادخار حديث أنس رضي الله عنه «كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لغد» رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٦٢) ثم قال: وهذا حديث غريب، وقد روي عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً؟
والجواب أن العلماء قد جمعوا بين الحديثين بعدة وجوه منها: ما ذكره ابن دقيق العيد [كما في فتح الباري لابن حجر ١١/٤١٤]: من أنه يحمل حديث أنس على الادخار لنفسه، وحديث عمر على الادخار لغيره.
بينما يرى الحافظ ابن كثير كما في الشمائل ص ٩٨: أنه ﷺ كان لا يدخر شيئاً لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة وغيرها.
قلت: ويمكن أن يحمل على اختلاف الأحوال والظروف، فعند نزول الشدائد، وحصول الأزمات كان لا يدخر شيئاً لغد، وعند السعة كان يدخر. والذي أراه أن حديث عمر يقدم عند التعارض لأنه مخرّج في الصحيحين، وحديث أنس قال فيه الترمذي: حديث غريب، ولم يصححه سوى ابن حبان كما في الإحسان برقم (٦٠٨)، وعند دراسة سنده تبين لي: أنه قد تفرد به جعفر بن سليمان عن ثابت، وهو وإن وثقه عدد من المحدثين فقد فيه علي بن المديني: «أكثر عن ثابت، وكتب مراسيل، وفيها أحاديث مناكير عن ثابت عن النبي ﷺ» فأخشى يكون هذا الحديث من المناكير.
وقال فيه الحافظ ابن عدي: «ولجعفر حديث صالح، وروايات كثيرة، وهو حسن الحديث، وهو معه بالتشيُّع، وجمع الرقائق، وجالس زهاد البصرة فحفظ عنهم الكلام الرقيق في الزهد».
وللتوسع في ترجمته ينظر تهذيب الكمال للمزي ٥/٤٣ وفروعه.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من حادثة التخيير

بادئ ذي بدء لا بد من الإشارة إلى أنه من أهم الأحكام المستنبطة من حادثة التخيير: هو مشروعية التخيير [١]، فقد أجازت الشريعة الإسلامية للمسلم أن يخير زوجته بين البقاء عنده، أو مفارقته إذا طالبته بأمور لا يستطيع الوفاء بها، وهو باب من أبواب تفويض الطلاق للزوجة.

قال الخطيب الشربيني: «جواز تفويض الطلاق للزوجة: هو جائز بالإجماع، واحتجوا

---

(١) يشار هنا إلى أن هذا الحكم أخذ مساحة واسعة في كتب الفقهاء على مختلف مذاهبهم، وقد ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى ٢ / ٤٠٠ أن وجوب التخيير من خصائصه ﷺ و أما بالنسبة لغيره ﷺ فهو مشروع، وله أحكام أشير إلى أهمها:

حكم التخيير: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزوج إذا خير زوجته فاختارته لا يقع عليها شيء، وإن اختارت نفسها ففيه خلاف:

١- تقع طلقة بائنة إذا أراد الزوج الطلاق: وممن قال بذلك أبو حنيفة وأصحابه، ومعنى قولهم: إذا أراد الزوج الطلاق أي إذا نوى الزوج بلفظ التخيير الطلاق، ولا يحتاج إلى نيتها.

ولفظ التخيير عندهم ليس من ألفاظ الطلاق: لا صريح ولا كناية، وإنما يقع الطلاق به إذا نوى استحسانا للحديث الوارد عن عائشة أن النبي ﷺ خير نساءه فاخترنه فلم يكن ذلك طلاقاً، وفي القياس لا يقع، لأنه وعد، والفتوى على الاستحسان.

٢- تقع طلقة يملك بها الرجعة: وممن قال بذلك عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، وإسحاق، وأبو عبيدة، وأحمد، والشافعي، وقد ذهبا إلى أن لفظ التخيير من ألفاظ الكنايات الخفية فيحتاج إلى نية الزوج والزوجة.

٣- تقع ثلاثاً: وبه قال الحسن ومالك، وقيده بالتخيير المطلق، وأما المقيد لفظاً بطلقة أو اثنتين فإنه يتقيد بذلك. وقد عد الإمام مالك لفظ التخيير من ألفاظ الكنايات الظاهرة فلا تحتاج إلى النية. وللتوسع في بحث هذه المسألة من الناحية الفقهية يراجع: روضة الطالبين للنووي ٨ / ٤٩، المغني لابن قدامة ١٠ / ٣٨٣، رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ٤ / ٥٥٩، والخرشي على مختص سيدي خليل ٤ / ٧٣، وتفسير البغوي ٣ / ٥٢٥، وتفسير القرطبي ١٤ / ١٧١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٠ / ٦٨، وأحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصّاص ٣ / ٥٢٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٣ / ٥٢٦.

له أيضاً بأنه ﷺ خير نساءه بين المقام معه، وبين مفارقته لما نزل قول الله تعالى ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك . . .** ﴾ »[١].

وعليه وبعد دراسة هذه الحادثة، والاطلاع على تفاصيلها، ومعرفة سببها، والتعرف الكامل على النصوص الواردة فيها، وزمن وقوعها، لا بد لنا – ومن خلال ما تقدم – من استنباط الدروس والعبر التي تنفع المسلم في حياته الزوجية مقتدياً بالحياة الزوجية للنبي ﷺ :

الأول : نشهد في حادثة التخيير تطبيقاً رائعاً لمبدأ الشورى في نظام الأسرة لقوله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[٢].

وفيها تعليم للأمة بأن مبدأ الشورى مبدأ عام يمكن تطبيقه في كثير من قضايا الأسرة وشؤونها وحل خلافاتها.

الثاني : كما نشهد في هذه الحادثة لوناً من ألوان تكريم المرأة باستشارتها وتخييرها في أن تأخذ القرار الذي تريده سواء في البقاء باعتبارها عضواً فاعلاً في هذه الأسرة والعيش مع هذا الزوج في ضوء إمكانياته، وعلى المنهج الذي رسمه لحياته، شريطة عدم الإضرار بها أو التقصير في حقها. أو أن تختار الحياة التي ترضاها وتجد فيها ما تستريح له.

الثالث : ونشهد في هذه الحادثة أدباً كريماً من آداب حل المشكلات الزوجية وهو التروي والهدوء وعدم الاستعجال باتخاذ القرار عند نشوب الخلاف، فإن في العجلة الندامة يدل على ذلك قوله ﷺ لعائشة : «إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه . . .».

الرابع : ونشهد في هذه الحادثة أسلوباً رائعاً في تخفيف الآثار الناشئة عن المشكلة بين الزوجين، وذلك بأن يلجأ إلى السكوت، وعدم الإكثار من الكلام حالة تفاقم المشكلة،

---

(١) مغني المحتاج ٤ / ٤٦٥.

(٢) الآية (٣٨) من سورة الشورى.

فإن بعض الكلام عند ثورة الخصام كِلام، ويفضي إلى العداوة، ويبعد عن الوئام، يدل على ذلك: «فدخلا - أي أبو بكر وعمر - والنبي ﷺ جالس، وحوله نساؤه، وهو ساكت واجم».

الخامس: كما نشهد في هذه الحادثة طلب الزوج من زوجته الاستعانة بمشورة الأبوين إذا كانا صالحين عاقلين أو من يقوم مقامهما في حال غيابهما في اتخاذ القرار في حال نشوب الخلاف، يدل على ذلك قوله ﷺ: «حتى تستشيري أبويك...» قالت عائشة: «وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه». وأؤكد على مشورة الأبوين الصالحين لأن صلاحهما يدفعهما إلى الإصلاح... أما إذا عُدِمَ الصلاح والعقل فإن المشورة ستزيد من تفاقم المشكلة، وسيكون لها نتائج سيئة على مستقبل الأسرة وضمان استقرارها.

السادس: ونشهد في هذه الحادثة مبادرة الآباء إلى معالجة المشكلات الزوجية التي تنشأ بين الزوج وزوجته، وأن يكون الآباء عوناً للزوج لا سيما إذا تعسفت المرأة في استعمال حقها، وذلك عن طريق إرهاق الزوج بالمطالبة بزيادة النفقات والإلحاح الزائد عليها. يدل على ذلك مبادرة أبي بكر وعمر واستئذانهما للدخول على رسول الله ﷺ، لمعالجة موضوع طلب زيادة النفقة من ابنتيهما.

السابع: كما نشهد في هذه الحادثة ضرورة إدخال أسلوب المرح في مجالس الصلح التي تعقد لحل المشكلات الزوجية فإنه أسلوب نافعٌ جداً في مثل هذه الأوقات العصيبة، وله أثر بالغٌ في تهدئة النفوس، وتخفيف حدة الغضب، وتلطيف الأجواء المتوترة، كما أنه يساعد على اتخاذ القرار السليم لصالح الزوجين، يدل على ذلك قول عمر: «لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك...» وقد تم له ذلك.

الثامن: ونشهد في هذه الحادثة أثر التقوى في انصياع أزواج النبي الطاهرات إلى الحق،

والتعهد بالسير عليه وعدم الإصرار على المطالبة بما يؤدي إلى إحراج الزوج، يدل على ذلك قولهما: «والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده».

والمطالبة بزيادة النفقات والإكثار من الطلبات أمر محرج للزوج لا سيما إذا كان يمر بظروف عصيبة تمنعه من المبادرة والإجابة السريعة، وقد تدفع الزوج الذي لا يملك مخافة الله إلى الطرق المحرمة في الكسب فيضر بنفسه وأسرته.

فكم رأينا من أسرة انفرط عقدها وتفرق شملها عندما اضطر الزوج فمد يده إلى رشوة محرمة، أو سرقة ظالمة، أو متاجرة بأمر حرمه الله، فدفعه ذلك إلى الحرام الآثم دفعاً.

وقد أدبنا القرآن بأدب الاعتدال عندما قال: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً**﴾ (١).

التاسع: كما نشهد في هذه الحادثة صورة رائعة من صور المبادرة إلى الخير، وإيثار أمور الآخرة على الدنيا، وما أشدَّ حاجتنا إلى التأسي والاقتداء بهذا الموقف النبيل من أم المؤمنين عائشة – ومعها أمهات المؤمنين الطاهرات – عندما خيرها رسول الله ﷺ فقالت: «بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة».

العاشر: ونشهد في هذه الحادثة أسلوب الصراحة في التعامل مع الزوجة فعندما دفعت المشاعر الأنثوية عائشة لتطلب من زوجها الكريم ألا يخبر أزواجه الأخريات أنها اختارته يصر الرسول ﷺ على الصراحة والصدق في التعامل. وهو أسلوب له أهمية كبيرة في استقرار الأسرة ويزيد من الثقة المتبادلة بين الزوجين، وكم رأينا من أسرة أشرفت على الانهيار نتيجة عدم الصراحة من الزوج، ومراوغته في التعامل وفقدانه الصدق في تصرفاته وأفعاله ومواعيده.

---

(١) سورة الطلاق آية (٧).

الحادي عشر: كما نشهد في هذه الحادثة أسلوباً كريماً في التعامل مع الزوجة حال الخلاف، وذلك بأن لا نلجأ إلى إهانتها بالضرب سواء من أبيها أو زوجها، يدل على ذلك ما جاء في حديث جابر: «فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة...» فنهاهما رسول الله ﷺ. وعلينا في حالة نشوء المشكلة اللجوء إلى أسلوب الحوار، وحل الخلاف بالتي هي أحسن عن طريق الإقناع.

الثاني عشر: ونشهد في هذه الحادثة صورة من صور العاطفة البشرية الحلوة في قلب رسول الله ﷺ لزوجه الكريمة عائشة، ولكن حبه لها لم يمنعه من أن يتخذ الوسيلة الحازمة معها كي ترتفع معه إلى مستوى القيم التي يريدها الله له ولأهل بيته، وهو درس بليغ لمن يحب زوجته أن لا يدفعه ذلك الحب إلى التقصير في مسؤوليته تجاهها، أو سكوته عما يعيقها عن الارتقاء إلى مدارج الكمال وأعالي الدرجات ومنازل التقوى.

الرابع عشر: كما نشهد في هذه الحادثة «حقيقة حياة الرسول ﷺ والذين عاشوا معه واتصلوا به، وأجمل ما في هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان، وحياة ناس من البشر لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية مع كل تلك العظمة الفريدة التي ارتفعوا إليها، ومع كل هذا الخلوص لله والتجرد عما عداه.. فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب. ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة، ولم تعوق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقدر للإنسان.. وكثيراً ما نخطئ حينما نتصور للنبي ﷺ ولصحابته صورة غير حقيقية أو غير كاملة، نجردهم فيها من كل المشاعر والعواطف البشرية، حاسبين أننا نرفعهم بها وننزههم عما نعده نقصاً وضعفاً. وهذا الخطأ يرسم لهم صورة غير واقعية، صورة ملفعة بهالات غامضة لا نتبين من خلالها ملامحهم الإنسانية الأصيلة

ومن ثم تنقطع الصلة البشرية بيننا وبينهم ... فلا نعود نتأسى بهم أو نتأثر..» (١).

الخامس عشر: وأخيراً نشهد في هذه الحادثة درساً بليغاً في حياة هذا النبي القائد ﷺ في ترفعه وعزوفه عن زخرف الحياة وزينتها، وقد وقع منه هذا التدبير في بيئة يستأثر القائد فيها بكل نفيس غالٍ من المغانم جرياً على ما اعتاد العرب في غاراتهم على أعدائهم. وقد وقعت هذه الحادثة بعد غزوة حنين تلك الغزوة التي غنم فيها المسلمون الغنائم العظيمة فلم تطمح إليها نفسه، ولم تمتد إليها يده، ولم يوزعها على أهله بل وزعها على المسلمين لا سيما ممن ضعفت نفسه، يتألفه على الإسلام، لينقذه من النار، ويدفع به إلى حظيرة الإيمان، ويجنده لصالح الدعوة لينضم إلى القافلة ويعلي به بناء الإسلام.

فصلى الله عليك يا رسول الله وأنت تعيش في الدعوة وللدعوة ومن أجل الدعوة... وصدق الله عندما قال: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ (٢).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٢٨٥٥ - ٢٨٥٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١).

المصادر والمراجع

١- أسباب النزول للسيوطي، المطبوع بحاشية تفسير قرآن كريم، تفسير وبيان للدكتور محمد حسن الحمصي، دار الرشيد - دمشق - بيروت.

٢- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ابن بلبان الفارسي، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٥- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت:٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصّاص، دار الفكر، بيروت.

٧- البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارف، بيروت.

٩- تفسير الصافي للمولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت: ١١٠٩هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٠- تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، بيروت.

١١- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٤- تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر، تونس.

١٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر، المدينة المنورة، الحجاز، ١٩٦٤م.

١٦- تيسير التفسير للقرآن الكريم لمحمد بن يوسف اطفيش الإباضي (ت:١٣٣٣هـ)، طبعة وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٨٧م.

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، دار الفكر، بيروت.

١٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، دار الأرقم، بيروت.

٢٠- الجامع للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، دار الحديث، القاهرة.

٢١- الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢- الدر المنثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢٣- رد المحتار على الدر المختار لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٥- روضة الطالبين للنووي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٦- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي

(ت:٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٢٩- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٠- السنن لمحمد بن يزيد ابن ماجه (ت:٢٧٥هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١- سنن النسائي «المجتبى» لأحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٣٢- سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣- السيرة النبوية لابن هشام، دار الخير، بيروت.

٣٤- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٥- شرح صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف الدين النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، زاهد القدسي، الطبعة التاسعة، بيروت.

٣٧- الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٣٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

٣٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠- في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت.

٤١- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار صادر، بيروت.

٤٢- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ لمسلم ابن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، دار الأرقم، بيروت.

٤٣- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٤٤- المغازي للواقدي، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢ ١٩٨٩م.

٤٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٦- مسند أحمد بن حنبل، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٧- المعجم الوسيط، لنخبة من الأساتذة في مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة، تركيا، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٤٨- المغني لابن قدامة، مكتبة هجر، القاهرة.

٤٩- مغني المحتاج بشرح المنهاج للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠- الميزان في تفسير القرآن لمحمد حسين الطباطبائي، طبعة جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، إيران.

٥١- النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

***